عين المدينة

نبنيــها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...
- أكياس الدم في براد المرطبات ص5
- الميادين بلا كهرباء في رمضان ص6
- غلاء وركود في أسواق الرقة ص10-11
- عاملات سوريات في تركيا ص12-13
- تراجع زراعة القطن في دير الزور ص14
- في جبلي التركمان والأكراد ص15
- تاريخ البعث المخزي ص17
- الشاعر المقاوم منير عباس ص19

عين المدينة | العدد (31) | 1 آب 2014

مجلة نصف شهرية مستقلة

Shaam News Network, via Reuters

وتلك الأيام نداولها بين الناس...

لا أحد ينكر أن الثورة تمرّ بأيام عصيبة، فمن جهةٍ حققت قوّات النظام والميليشيات الطائفية المتحالفة معها انتصاراتٍ محدودةٍ هنا وهناك، بحكم التوحّش وسياسة الأرض المحروقة وسياسة التجويع، مما أجبر بعض المناطق على عقد هدنٍ لم تكن محلّ رضا وارتياح الثوّار، رغم تفهّمهم لضرورة قسم منها. ومن جهةٍ زادت المواجهات بين بعضٍ فصائل الثورة، وإن كان سبب الكثير منها تخليص القوى المسلّحة من كتائب من المتنفعين ومستغلّي ظروف الفوضى. ومن جهةٍ ثالثةٍ خرجت محافظتان شبه محرّرتين من سيطرة الثورة وقواها المقاتلة (الجيش الحرّ)، لتدخل في برنامجٍ مختلفٍ لا تعني له الثورة معنىً إيجابياً، بل ينظر إلى شعاراتها وعلمها نظرة ريبةٍ إن لم نقل إدانةً صريحة.

ولا ريب في أن أخطاء الثوّار وفوضى نشاطاتهم المدنية والعسكرية وعدم كفايتها أحد أسباب هذا التراجع. ومؤكّدٌ أنه كان من الواجب علينا أن نكون أكثر حزماً وتنظيماً وإدارة. ولكن، ألا نحوز بعض العذر حين نتذكر أننا بادرنا إلى الثورة قادمين من أعمالنا الخاصة وجامعاتنا وأراضينا الزراعية وسواها، دون أية خبرةٍ أو استعدادٍ سابقين، على أيّ مستوىً كان. هل نُلام على أننا كنا مدنيين عاديين أرادوا الحرية والكرامة والعدالة، فيما كان خصومنا جحافل منظمةً من عناصر من المقاتلين مغسولي الأدمغة، دون أفقٍ سوى الموت؟

غير أنها جولة... أنجزنا فيها الكثير... وخسرنا فيها الكثير... ولكن الأهم أننا تعلمنا منها الكثير... ولنا عودة...

وإنها لثورةٌ حتى النصر

وعودٌ أمريكيةٌ مجدّداً... وكوارث سورية تتفاقم

هيئة التحرير

من جديدٍ، صدّرت الإدارة الأمريكية موقفها من القضية السورية على لسان دانيال روبنستاين، المبعوث الأمريكيّ لسوريا، وذلك بعد أشهرٍ من الأخذ والردّ حول تسليح فصائل معينةٍ من المعارضة، وبعد جدالٍ حول تصريحات سفير الولايات المتحدة السابق في سوريا، روبرت فورد، الذي لام الرئيس الأمريكيّ باراك أوباما على التردّد حيال تسليح المعارضة، وعدم اتخاذ قراراتٍ جريئةٍ تجاه القضية السورية.

وقال روبنستاين، في مقابلةٍ مع مجموعةٍ من الصحافيين العرب أجراها هاتفياً، إن الولايات المتحدة واضحةٌ في استراتيجيتها في سوريا، والتي تتركز حول "دعم المعارضة المعتدلة والشركاء الدوليين لإحداث انتقالٍ سياسيٍّ يبعد بشار الأسد عن السلطة". وكرّر روبنستاين الوعود الأمريكية بتدريب وتسليح المعارضة السورية، قائلاً إن الإدارة الأمريكية تقدّمت للكونغرس بطلب الإسراع بتقديم مبلغ 500 مليون دولار، وعد بها الرئيس الأميركيّ لتدريب وتسليح المعارضة السورية، متهماً الكونغرس بالتباطؤ.

وكان روبنستاين قد أجرى جولةً في المنطقة، شملت تركيا ومصر، التقى خلالها الرئيس الجديد للائتلاف الوطنيّ السوريّ، هادي البحرة، ومسؤولين آخرين. وقد عبّر روبنستاين عن أمله في أن يقوم البحرة بتوحيد صفوف السوريين في المعارضة. ونفى روبنستاين بشكلٍ نهائيٍّ وجود أيّة فكرةٍ لدى الولايات المتحدة للتعاون مع نظام الأسد في محاربة تنظيم الدولة الإسلامية، الذي يسيطر على جزءٍ كبيرٍ من الأراضي السورية والعراقية حالياً.

من جهةٍ أخرى، سرّبت مصادر مطلعةٌ لوسائل إعلامٍ عربيةٍ أن مندوبين من وزارة الدفاع الأميركية قدّموا خطةً لتدريب 2300 مقاتلاً من الجيش الحرّ خلال 18 شهراً تبدأ من تاريخ إقرار الميزانية، فيما اعترض أعضاء في الكونغرس مؤيدون لمساعدة المعارضة السورية على الخطة، متهمين الإدارة الأمريكية بعدم الجدية في الطرح.

هادي البحرة

عفو الأسد لم يطبّق

قالت منظماتٌ حقوقيةٌ إن نظام الأسد تحايل على العفو العامّ الذي أصدره رأس النظام عقب نجاحه في "الانتخابات الرئاسية"، إذ لم يتم إطلاق سراح مئاتٍ من شملهم العفو. وفي الوقت الذي أعلنت فيه وكالة أنباء النظام إطلاق سراح 2445 معتقلاً، أشارت المنظمات الحقوقية إلى شهاداتٍ من محامين رصدوا تنفيذ العفو شككوا فيها بهذا العدد، وقالوا إن عدد المفرج عنهم لم يتجاوز 1300 معتقلٍ في أحسن الأحوال، بينهم المئات ممن سجنوا بتهم جنائيةٍ لا علاقة لها بالثورة، وذلك من بين عددٍ كبيرٍ من المعتقلين والمختفين قسرياً يصعب رصده.

مساعداتٌ تدخل ريف دمشق دون إذن النظام

أعلن برنامج الأغذية العالميّ، التابع للأمم المتحدة، أن أعضاء من البرنامج أدخلوا مساعداتٍ إنسانيةً إلى المعضّمية في ريف دمشق، والتي تحاصرها قوّات النظام. وهذه المساعدات من ضمن القوافل التي دخلت إلى سوريا عبر مدينة الرمثا الحدودية شمال الأردن، وفقاً لقرار مجلس الأمن الدوليّ الذي قضى بدخولها دون الحاجة إلى موافقة حكومة الأسد.

وأعلنت إليزابيث بيرز، المتحدثة باسم البرنامج، أنه تمّ توزيع ما مجموعه 2900 حصةً غذائيةً حتى الآن على 14500 شخص، وأنه كان يفترض أن تستغرق هذه العملية في الأساس أربعة أيام، لكن وكالات الأمم المتحدة قرّرت تمديدها ثلاثة أيام أخرى لمساعدة أكبر عددٍ ممكنٍ من الأشخاص.

كوارث سورية على لسان منظماتٍ أممية

أصدرت الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر بياناً مؤخراً عبّرت فيه عن تخوّفها من نقص المياه في سوريا بسبب الجفاف، وقالت إن الأمطار كانت شحيحةً ما أدّى إلى ضعف مستوى المياه، كما أن منشآت توصيل المياه وتنقيتها تضرّرت كثيراً بسبب النزاع.

ونقلت وكالة فرانس برس عن الهلال الأحمر العربيّ السوريّ قوله إن تراجع كمية الأمطار خلال الشتاء، وحرارة الطقس، أثّرا كثيراً على المحاصيل الزراعية، ما أضرّ بالأمن الغذائي في معظم المحافظات، وخاصةً في حلب والحسكة ودير الزور والرقة.

وأشارت المنظمة إلى أن الملاجئ التي قطنها النازحون السوريون غير صحية، مضيفةً أن المياه الملوثة تسببت في انتشار حالات الإسهال والالتهاب الكبدي الوبائي والأمراض الجلدية.

الثوّار على أسوار مطار حماة العسكريّ... وقصفٌ يستهدف معظم المناطق المحرّرة

هيئة التحرير

أحرز الثوّار خلال الأيام الماضية تقدماً ملحوظاً في ريف حماة، بعد برود مختلف جبهات تلك المحافظة، واقتصار العمليات العسكرية فيها على مورك التي لم تستطع قوات النظام اقتحامها رغم القصف المتتالي عليها.

وتقدّم الثوار في حماة على عدّة جبهاتٍ كان أهمّها جبهات خطاب، حيث سيطر الجيش الحرّ على رحبة خطاب العسكرية في ريف حماة بالكامل، وعلى مستودعات الذخيرة فيها، إضافة إلى سيطرته على أربعة حواجز في البلدة، بعد معارك أسفرت عن مقتل العشرات من جيش النظام وتدمير عدة دباباتٍ من عتاده واغتنام أخرى.

وتمتلك السيطرة على رحبة خطاب أهميةً استراتيجيةً على صعيد المعارك في المنطقة، لأن هذه الرحبة تعدّ من أهم مصادر إمداد القوات النظامية المقاتلة في ريف حماة، ولأنها تعدّ مدخلاً هاماً باتجاه مطار حماة العسكريّ.

وبعد هذا التقدّم قامت كتائب من الحرّ باستهداف مطار حماة العسكريّ وقمة جبل زين العابدين بالصواريخ، ما أثر على حركة الطيران في المطار الذي يعدّ من أنشط مطارات النظام العسكرية، ويعتبر المعمل الأوّل للبراميل المتفجرة التي تستهدف بها طائرات النظام معظم المناطق المحرّرة في سوريا.

وبيّنت مصادر عسكريةٌ من ريف حماة أن الثوار باتوا على بعد كيلومتراتٍ قليلةٍ من المطار، وقاموا بقطع طريق محردة حماة وقصف مناطق عسكريةٍ تابعةٍ للنظام في محيط المطار، وهو ما ردّت عليه قوّات النظام بقصفٍ بالبراميل المتفجرة على القرى المحرّرة القريبة من مطار حماة.

الفرقة 17 تحت سيطرة "الدولة الإسلامية"

بعد أكثر من سنةٍ من المعارك حول الفرقة 17 في ريف الرقة بين قوّات الجيش الحرّ والجيش النظاميّ، والتي لم يتح خلالها للحرّ السيطرة على الفرقة، قام تنظيم الدولة الإسلامية المسيطر حالياً على محافظة الرقة باقتحام الفرقة والسيطرة عليها بعد عمليةٍ عسكريةٍ وصفت بالعنيفة، حضّر لها التنظيم منذ أشهر. وقد أدّت المعركة إلى مقتل أكثر من مئة جنديٍّ من قوات النظام ألقي القبض عليهم متفرّقين أثناء هروبهم من موقع الفرقة، فيما تمكن آخرون من الوصول إلى موقع اللواء 93 في قرية عين عيسى شمال الرقة. وفي جبهة أخرى لتنظيم الدولة الاسلامية منيت قوات الأسد بهزيمةٍ أخرى إثر سيطرة مقاتلي التنظيم على اللواء 121 في قرية الميلبية القريبة من المدخل الجنوبيّ لمدينة الحسكة، وسط أنباءٍ مؤكدةٍ عن مقتل العشرات من جنود الأسد، وسيطرة "الدولة" على عتادٍ عسكريٍّ ثقيلٍ وذخائر في موقع اللواء الذي يعدّ قوّة الدفاع الرئيسية عن الحسكة من الجهة الجنوبية.

وبالمقابل، استطاعت قوّات النظام السيطرة على حقل الشاعر للغاز شرق محافظة حمص، بعد معارك مع تنظيم الدولة الإسلامية، منعت من خلاله القوّات النظامية تنظيم الدولة من التقدم غرباً باتجاه حمص.

الجيش الحر في رحبة خطاب العسكرية

كمائن في القلمون

بعد تحوّل معظم عمليات الثوّار في القلمون إلى عمليات كرٍّ وفر، أصبحت الكمائن هي أكثر ما يسمع عنه في جبهات المنطقة، خاصةً بعد سيطرة قوات النظام على يبرود ومحيطها. وشهدت الأيام الماضية عدة كمائن في القلمون أهمها كمينٌ نفذه مقاتلون من الجيش الحرّ قرب بلدة الدريج بريف دمشق، أدّى إلى مقتل أكثر من 20 عنصراً من الجيش السوريّ النظاميّ.

قصفٌ لا يتوقف على ريف دمشق وحلب ودرعا

لم تهدأ مدفعية النظام ومروحياته ومقاتلات الميغ في قصفها على عدة مناطق من ريف دمشق، وعلى غالبية المناطق المحرّرة من درعا، وعلى مدينة حلب. وقد سجلت الأيام الماضية استشهاد عشرات المدنيين في كلٍّ من تلك المناطق جرّاء الاستهداف اليوميّ لها.

ونقل نشطاء مدنيون من ريف درعا أن غالبية البلدات في الريفين الغربي والشرقي للمحافظة تعرضت خلال الأيام الماضية لقصفٍ هو الأعنف أدّى إلى دمارٍ كبيرٍ فيها، وتسبّب بحركة نزوحٍ كبيرةٍ منها باتجاه الحدود الأردنية أو نحو المناطق الأكثر أمناً في المحافظة.

الأخطاء الطبية...
بين قلة الكفاءة ونقص الاختصاصيين

أيمن عيسى

عانت المنطقة الشرقية قبل الثورة من مشكلة الكفاءة فيما يتعلق بالأطباء، وهذا أمرٌ لا يمكن إنكاره، وتشهد عليها الحالات المرضية العديدة التي توجه أصحابها للعلاج في دمشق أو حلب، لعدم الثقة بالكفاءة الطبية للكثير من أطباء المدينة. وقد تفاقمت هذه الحالة كثيراً خلال السنتين الأخيرتين، وتزايدت الأخطاء الطبية التي يمكن وصف بعضها بالكارثية، لما ينتج عنها من أضرار.

حالاتٌ لا تعدّ ولا تحصى من الإصابات غير المميتة تحوّلت، بعد العلاج الخاطئ أو قلة الانتباه، إلى إصاباتٍ قاتلة. لا يمكن لأحدٍ مهما كان أن يلمّ بها أو يحصيها، وبالأخصّ في القسم المحرّر من دير الزور، بحكم تعرّضه للقصف المباشر أكثر من غيره من المناطق. نادر اليوسف شابٌّ من أهالي دير الزور، كان شاهداً على أكثر من حادثةٍ من هذه الحوادث المؤلمة، بحكم وجوده في القسم المحرّر من المدينة، وقد تحدّث عن هذا الموضوع بالقول: "أحد أصدقائي أصابت قذيفةٌ أطرافه السفلية، فأدخلوه غرفة العمليات وخرج من العملية سليماً. وفي اليوم التالي كان موعد العملية الثانية. وبعد أن أدخل إلى غرفة العمليات يخرج الطبيب ويخبر ذويه أن ابنهم دخل في حالة سباتٍ بسبب نقص الأكسجة، نتيجة جرعةٍ زائدةٍ من المادّة المخدّرة. شابٌّ آخر من الدير المحرّرة أصيب بشظايا قذيفةٍ في رقبته، فتغير صوته مباشرة وبدأ يفقد الوعي. لم تكن الشظية قد أحدثت أيّ ضررٍ مميتٍ لأنها أتت بجانب الرغامى والحبال الصوتية، ومع ذلك كان الشاب فاقداً للوعي، حتى بدأ قلبه يضعف ويتوقف أمام نظر الأطباء، فطلبوا نقله إلى الميادين، حيث وصل ميتاً، ولكن ليس بسبب الشظية في رقبته بل بسبب شظيةٍ أخرى أصغر من حبة العدس كانت قد اخترقت القلب. ببساطةٍ لم ينتبه الطبيب إلى الجرح الصغير في رقبة المصاب... فمات".

أما عن أسباب تفاقم هذه الظاهرة وانتشارها إلى درجةٍ أفقدت الناس الثقة بالطب عموماً وبالجراحة على وجه الخصوص، فقد حاولت "عين المدينة" تتبعها والبحث فيها، فالتقينا بالطبيب "رامي، ث"، أحد الأطباء في مشافي دير الزور، والذي ردّ الظاهرة إلى أسبابٍ عديدةٍ أجملها فيما يلي: "لعلّ السبب الرئيسيّ وراء تفاقم هذه الظاهرة هو مغادرة معظم أطباء محافظة دير الزور، الماهرين في اختصاصاتهم، إلى مدنٍ أخرى أو إلى خارج القطر، مما أدّى بالتالي إلى ندرة وجود طبيب مختصٍّ "شاطر" من جهة، وإلى اضطرار العديد من الأطباء إلى العمل في غير اختصاصاتهم، بسبب عدم وجود من يمكن أن يخدم في مثل هذه القضية. وهذه النقطة الأخيرة بالذات نشاهدها في القسم المحرّر من مدينة دير الزور، وقد حدثت حوادث كثيرةٌ تؤكد هذه القضية، منها طبيب الأسنان الذي اضطرّ تحت الضغط، ولعدم وجود طبيب مختصٍّ، إلى اجراء عملية "تفجير صدرٍ" لأحد المصابين. وعاملٌ آخر ربما يكون سبباً في ازدياد معدّل الأخطاء الطبية، وهو الضغط الذي قد يتعرّض له الطبيب داخل غرفة العمليات من ذوي المصاب أو من زملائه، فقد يصل الأمر ببعض هؤلاء إلى اقتحام غرفة العمليات من أجل إخراج الطبيب لإجراء عملية لمريضٍ آخر. عدا عن النقص الكبير جداً في المعدّات والتجهيزات الطبية".

هذا من جهة، ومن جهةٍ ثانية تسببت هجرة الأطباء في ازدياد الضغط على من تبقى منهم، فحين تزور عيادةً ما في الميادين أو البوكمال مثلاً فإنك ستجد عدداً لا يحصى من المرضى الذين يتزاحمون لرؤية الطبيب. وحين يترافق هذا الضغط مع نقص الخبرة لدى الطبيب أساساً، قد يؤدّي إلى أخطاءٍ جسيمةٍ ترتدّ مضاعفاتها على المرضى.

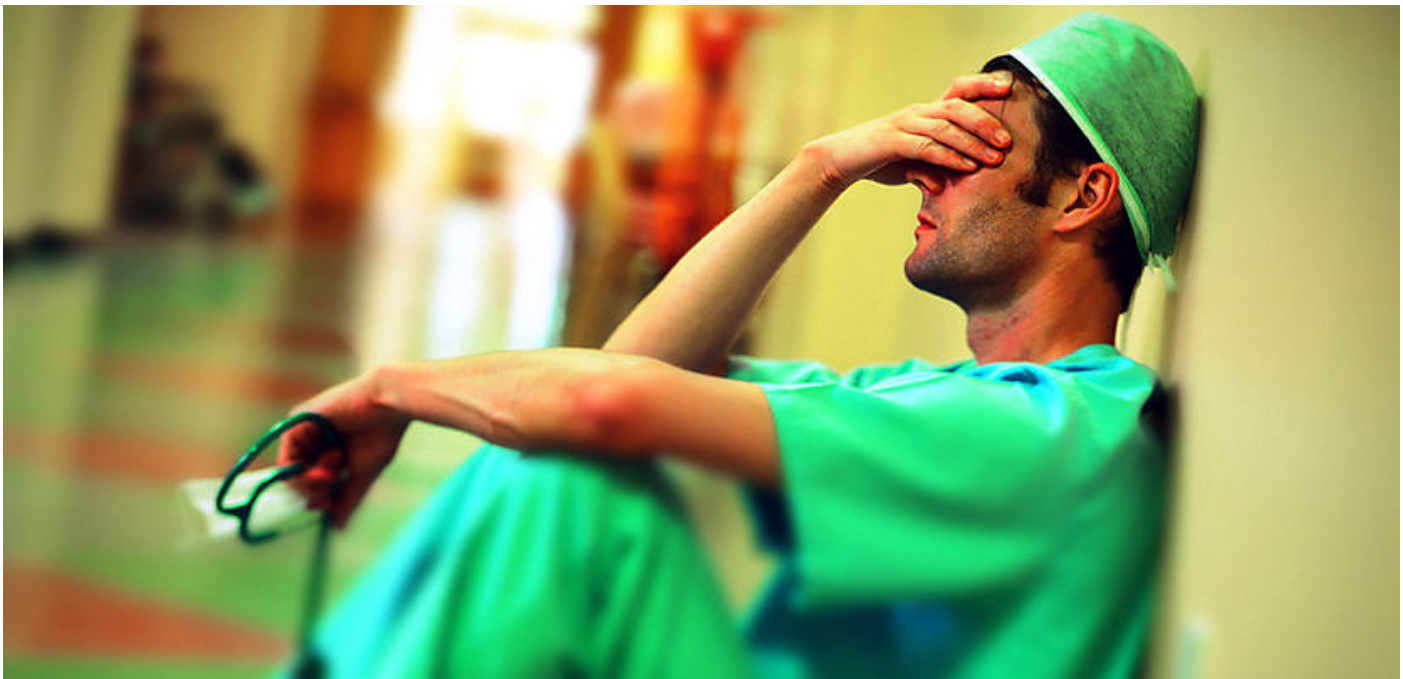

بنك سينالكو للدم

علي خطاب

قبل الثورة، كان التبرّع بالدم اسماً على غير مسمّى. إذ إن المعاني التي تحملها عبارة التبرّع بالدم، من تطوّع ومبادرةٍ وإغاثةٍ وغيرها، كانت معدومةً تقريباً. لأن بنك الدم كان يستقبل في السابق المانحين الذين يضطرّهم روتين الدولة إلى التبرّع لاستكمال بعض المعاملات الرسمية (كاستصدار إجازة السوق)، أو يستقبل المانحين الذين يتبرّعون لأمورٍ تتعلق بالمحافظة على الصحّة والحيوية، بالتخلص من كميات الدم الزائدة التي قد تسبّب بعض المشاكل الصحية. ولذلك كان يصعب إطلاق وصف التبرّع على ذلك العمل الذي يأخذ شكل الاضطرار أو الرفاهية.

لم يفكر بسام، وهو حدّادٌ ابن مصلحة، في هذه الأمور عندما سمع نداء مكبّرات الصوت في الجوامع عن حاجة المستشفى إلى الدم. لكنه راح يناقشها في نفسه عندما وقف في طابور يتجاوز العشرة أشخاص، ينتظرون دورهم أمام غرفة بنك الدم في المستشفى الميدانيّ في مدينة دير الزور المحاصرة. تذكر بسام أن بنك الدم كان يبيع الدم لمحتاجيه، وقد يكون سمّي بنكاً لذلك. ولهذا السبب رأى أنه ليس صحيحاً أن يسمّى بنكاً هذا المكان الخاصّ بالتبرع بالدم وحفظه في المستشفى الميدانيّ. ولكن بسام لم يجد اسماً مناسباً، لا هو ولا أيّ واحدٍ من أصدقائه حين طرح عليهم الموضوع فيما بعد. كما فكر، وهو يقف في الطابور، بمدى التناقض بين اسم التبرّع بالدم والبنك.

عندما اقترب بسام من غرفة نقل الدم أصبحت موجوداتها واضحةً أمامه، فراح يتابع باهتمام إصرار شابٍّ على إتمام التبرع بعد أن أغمي عليه عندما رأى دمه يتدفق في الأنبوب. كما رأى شاباً يمازح صديقه وهو يفتح أصابعه ويضمّها. لكن أكثر ما لفت انتباهه هو برّاد سينالكو يحوي أكياس الدم! لماذا برّاد سينالكو وليس برّاد دم؟ ألا يوجد برّادٌ خاصٌّ في دير الزور؟ هل يصلح برّاد سينالكو لحفظ الدم؟ في طريق خروجه التقى بسام صديقه أبو صهيب، فني الأشعة في المستشفى، فسأله عن البرّاد. أخبره أبو صهيب أن البرّاد الموجود هو المتوفر إلى الآن، وأنه يصلح نوعاً ما لحفظ الدم. أما لماذا لم يشتروا برّاداً خاصّاً فقد رفض أبو صهيب الكلام في هذا الموضوع، لأنه يخلق الكثير من المشاكل، ويثير الإشاعات والقيل والقال. لكن أحد الممرّضين من معارف المعارف أخبر بسام، بعد فترةٍ من ذلك، أنه قد أرسل إلى دير الزور مبلغ خمسة آلاف دولار لشراء تجهيزاتٍ طبيةٍ لفحص الدم وحفظه. وقد قال له، بشيءٍ من الحسرة والتسليم: بحسب اطلاعي، هذا المبلغ لا يكفي لشراء جميع التجهيزات، ولكنه يكفي لشراء بعضها، ومنها البرّاد. لكن المبلغ أوقع أعضاء المكتب الطبيّ الموحد في حيرةٍ كبيرة، إذ إنهم يخشون أن يجلبوا التجهيزات من تركيا، خوفاً من تعرّضها شبه المحتم للسرقة في الطريق، كما أنهم يخشون أن يشتروها عن طريق الوسطاء في الداخل، خوفاً من التلاعب بالمواصفات. بعد أن اطّلع بسام على هذه التفاصيل أحسّ بالكثير من الأسى لما وصل إليه التردّي الأخلاقيّ، ليطال حتى أكثر الأمور إنسانيةً، وينسف خندقاً خلفياً من خنادق الدفاع الشعبيّ. كما أنه فكر كثيراً في شيءٍ يستطيع تقديمه كي لا يُغرق الطوفان بعض الحصون التي عمّرتها الثورة (من تضامنٍ وتضحيةٍ ونجدة) فلم يجد أمامه إلا الدعاء، سلاحه الأخير قبل الاستسلام.

الدم في براد المرطبات

كهرباء الميادين تغيب في شهر الصيام

عمر ظافر

اقترب شهر رمضان الكريم من نهايته ولا زال الكثير من أهالي مدينة الميادين يأملون أن يتناولوا وجبة إفطارٍ لا ينقطع التيار الكهربائيّ خلالها. حلمٌ بسيطٌ يتمنى الكثير من السكان هنا تحققه خلال هذا الشهر على الأقل، وخاصةً مع ساعات الصوم الطويلة وارتفاع درجات الحرارة، مما زاد من معاناة السكان من غياب هذه الخدمة إلى حدٍّ كبيرٍ جداً.

يقدّر عدد سكان الميادين اليوم بأكثر من مئتي ألف نسمة. وهي المركز الاقتصاديّ والخدميّ الأول في دير الزور، مما يعني احتياجاتٍ مضاعفةً للتيار الكهربائيّ بالمقارنة مع غيرها. وتتزوّد هذه المدينة بالتيار من مصدرٍ واحدٍ هو الشبكة العامة المرتبطة بمحطةٍ جندر الحرارية في حمص، مما يعني خضوع الميادين لبرامج التقنين التي تنفذها وزارة كهرباء نظام الأسد، التي تولي اهتمامها بالمناطق الخاضعة لسيطرة هذا النظام. مع الإشارة الى أن الغاز المشغل لمحطة جندر قادمٌ من محافظة دير الزور، مما يضاعف إحساس سكان الميادين، وغيرهم من باقي مدن وبلدات المحافظة التي لم تعثر على حلولٍ خاصةٍ لمشكلة الكهرباء، بالغضب.

حديث الكهرباء مسألة رأيٍ عامٍّ يكثر الحديث فيها، وهي أيضاً محلّ تنافسٍ وخلافٍ بين بعض القرى والبلدات في دير الزور، وخاصةً مع تمكن بعضها من إيجاد بدائل خاصةٍ مثل الارتباط ببعض المنشآت النفطية التي تنتج التيار. وقد وقعت بعض الخلافات بين بلدتين متجاورتين، على سبيل المثال، نتيجة الفشل في تنفيذ برامج تغذيةٍ عادلة. وكادت هذه الخلافات أن تصل إلى حدّ المواجهات المسلحة.

صورٌ من المعاناة

يركب عمار، وهو شابٌّ نازحٌ مع عائلته إلى الميادين، دراجته النارية عصر كلّ يوم حاملاً "طرمز" ماءٍ ويتوجه إلى بلدة الحوائج المقابلة للميادين على الضفة الشمالية لنهر الفرات. فحالة الكهرباء في الحوايج أفضل بكثيرٍ منها في الميادين، مما يعني إمكانية الحصول على قوالب الثلج من هناك لتبريد الماء على مائدة الإفطار. وكذلك يفعل الكثير من السكان. يولد حقل العمر النفطيّ الكهرباء، التي يستفيد منها عددٌ من القرى القريبة، مثل الحوايج وذيبان والشحيل. وينظر سكان المناطق المحرومة من هذا الامتياز إلى نظرائهم بعينٍ حاسدة، ويطالبون أن يكونوا في قائمة المستفيدين. غير أن الطاقة المولدة من حقل العمر، وغيره من المنشآت النفطية، لا تكفي الجميع.

من صفحة "عدسة شاب ميادين"

أم أحمد، ربة منزلٍ من الميادين، تسمع بتنعم مناطق أخرى بتيارٍ كهربائيٍّ دائم، ولا تقنعها ذريعة الأحمال الزائدة - الصحيحة - التي يتذرّع بها الفنيون. فكلّ ما يهمّها هو أن تصمد أصناف الطعام في برّادها المنزلي في هذا الجوّ الحارّ لأطول مدةٍ ممكنة، إلا أن انقطاع الكهرباء لأوقاتٍ تتجاوز (16) ساعةً يومياً يحول دون ذلك. وكذلك هي حال سعيد، صاحب البقالية الذي عجز عن حفظ بضاعته ففسدت مراتٍ كثيرةً بسبب ارتفاع الحرارة وانقطاع التيار.

حلولٌ ممكنة...

يفكر البعض في توفير بدائل قد تساعد في تخفيف حدّة المعاناة وتقليص مدّة انقطاع التيار، مثل ربط شبكة الميادين بحقل العمر، وتنفيذ برامج تقنينٍ في المناطق المستفيدة منه. فيما يقترح آخرون أن تستخدم مولداتٌ ضخمةٌ تعمل بالديزل وبنظام الوحدات، أي أن يقوم كلّ تجمع سكنيٍّ من حيٍّ واحدٍ أو عدّة أحياءٍ بإنشاء شبكة كهربائه الخاصة مقابل اشتراكٍ شهريٍّ يدفعه المستفيدون ويغطّي كلف التشغيل والإنشاء. طبّق هذا الحلّ في بلدانٍ أخرى عاشت ظروفاً مشابهة، مع تخطيطٍ مركزيٍّ على مستوى المدينة بحيث تنفذ هذه المشروعات لتغطّي جميع الأحياء، وفق دراسةٍ دقيقةٍ تضبط العمل وتنظمه وتراعي الشروط البيئية من ناحية التلوّث بالدخان والضجيج، وكذلك تحمي السكان من استغلالٍ محتمل، وتحقق أرباحاً ماليةً معقولةً لمشغّلي هذه المولدات، وفرص عملٍ لعشرات العاطلين عن العمل. مع الاستفادة من الشبكة المحلية لتوفير تكاليف الإنشاء، والقيام بعملياتٍ صيانةٍ دوريةٍ لها. وتقديم عمال وموظفي الكهرباء المفصولين، أو المقطوعة رواتبهم، على غيرهم للعمل في هذا المشروع.

ليلةٌ لا تنسى على الحدود السورية التركية

مالك إسماعيل

بعد معاناةٍ كبيرةٍ وسفرٍ لمدّةٍ تتجاوز 10 ساعاتٍ، والمرور بحواجز النظام، وحواجز الجيش الحرّ، وحواجز داعش، تمكنّا أخيراً من الوصول إلى معبر باب السلامة الحدوديّ. كلّ من كان معنا تنفس الصعداء، ولم يعرف أحدٌ أن المعاناة لم تنته، وإنما تغيّر لونها فقط.

نازحون تهريباً إلى تركيا

هذا ما تحدثت به أم ناصر، وهي تروي لـ"عين المدينة" قصة عبورها من الأراضي السورية إلى الأراضي التركية. واصلت حديثها عن الرعب الذي عاشته على الحدود، والكمّ الكبير من الإذلال الذي شعرت به: لم أكن مجبرةً على عبور الحدود "تهريب"، لأنني وعائلتي نحمل جوازات سفرٍ نظامية، ولذلك فقد توجهنا فور وصولنا إلى البوابة باتجاه الباص الذي سبقنا. كان ذلك في الساعة الرابعة تقريباً، أي أن حوالي ساعةً بقيت على إغلاق البوابة. وقبل أن نصل إلى ختم الجواز وجدنا سائق الباص يعود أدراجه ويقول: "البوابة أغلقت. يمكنكم النوم في المسجد القريب هذه الليلة، وتدخلون في الثامنة صباحاً". بعد سفرٍ طويل كان هذا الكلام صدمةً شديدةً لكلٍّ من أنهكه التعب منّا. نظرت إلى طفلتَيّ وفكرت بأبيهما الذي ينتظرنا على البوابة. أعجبتني فكرة أحد الرجال حولي عن إمكانية العبور "تهريباً". لم تكن لدي تجربة بالسفر. وحين وصلنا إلى الكاراج مجدّداً تجمّع عددٌ كبيرٌ من الرجال يصيحون "ع التيل...ع التيل". عائلةٌ صغيرةٌ مؤلفةٌ من رجلٍ وزوجته التي تحمل مولوداً لا يتجاوز عمره 4 أشهر، اقتربوا مني وسألوني إن كنت أريد العبور معهم لنستأجر سيارةً توصلنا إلى الحدود. سألنا سائق سيارة الأجرة عن وضع الحدود، وعن إمكانية العبور، فأخبرنا أن الأمر سهلٌ جداً؛ ستأخذنا السيارة إلى الحدود، وهناك نعبر خندقاً صغيراً ونصبح في الأراضي التركية، حيث نأخذ سيارةً ونصل بأمانٍ إلى كراج كلس، وتنتهي المعاناة والقلق التي عشتها طوال السنوات الثلاث الماضية.

أشواكٌ وأتربةٌ ورصاصٌ في الهواء

أخذ السائق منا 1000 ليرةٍ عن الراكب الواحد، وأوصلنا إلى الحدود حيث سيسلمنا لأحد المهرّبين "الشاطرين" ليساعدنا على العبور، وهو سينتظر حتى يتأكد من عبورنا. وفور وصولنا وجدنا أنفسنا ننضمّ إلى عوائل أخرى، حتى أصبحت المجموعة تتألف من أكثر من عشرين شخصاً، بعضهم من دون جوازاتٍ والبعض الآخر معه الجوازات ولكن خذله إغلاق البوابة. مجموعةٌ من الصغار كانت تنقل علب الدخان والشاي من تركيا إلى سوريا ويهرولون ضاحكين. تحرّكنا وفق إشارة المهرّب من أجل العبور. وقبل أن نصل إلى الخندق المزعوم بعدّة أمتارٍ ظهر دركيٌّ تركيٌّ على الجانب الآخر من الحدود، وأشار لنا بإصرارٍ بالعودة من حيث جئنا، وهنا طلب منا المهرّب الجلوس. لم أكن أفهم ما يجري لكنني أدركت أن سائق التكسي الذي أوصلنا لم يكن صادقاً أبداً. التفتّ إلى الخلف فلم أجده. عدنا أدراجنا حتى ذهب الدركيّ ثم كرّرنا المحاولة. وكان الشباب الذي استأجرناهم لحمل حقائبنا قد عبروا قبلنا وصاروا على الجانب الآخر. هنا عاد الدركيّ كالشبح وبدأ بإطلاق النار في الهواء. حالةٌ من الرعب سادت بين النساء والأطفال الذين راحت أمهاتهم تجرجرهم إياباً. بدأت إحدى النساء بالبكاء على طفلها الذي يبكي عطشاً هو الآخر. كان الماء معها ساخناً جداً فلم يشربه. ارتفعت طلقةٌ أخرى في الهواء فتخيلتها ستصيب إحدى طفلتيّ، بالرغم من تأكيد "المهرّب" أنهم لا يطلقون النار على العوائل، بل يحاولون منعهم من التقدّم فقط، ولكننا فقدنا الثقة به نهائياً. ولم نعد قادرين على العودة لننام في المسجد، لأن أمتعتنا صارت على الجهة الأخرى. استمرّت محاولات الجري فوق الحجارة والأشواك والأتربة إلى أن عبرنا. كانت ليلةً لا تنسى.

جامعة الفرات...
طلبةٌ وأساتذةٌ ضمن القبضة الأمنيّة للنظام

خليل عبد الله

القنص، القذائف العشوائية، مشاكل الكهرباء، الضغط الأمنيّ الرهيب داخل المدينة، التعرّض للاعتقال، ارتفاع أسعار الكتب والمواد التعليمية، الحواجز بكلّ أشكالها والتنوّع في انتماءات المسؤولين عنها، ندرة البيوت التي يمكن استئجارها وارتفاع إيجاراتها بحيث تصل إلى أرقام خيالية؛ كلّ أشكال المعاناة هذه يعيشها الطالب الجامعيّ في دير الزور (الأخير منها يختصّ به الطلبة القادمون من خارج المدينة) ولكن هل تنتهي المعاناة هنا؟

ابتزازٌ واستفزازٌ قبل دخول الجامعة

هذا السؤال طرحته "عين المدينة" على العديد من طلبة الجامعة، بعد ازدياد الحديث عن الفساد والتدخل الأمنيّ في الحياة الجامعية، لملامسة بعض أوجه المعاناة التي يعيشها الطالب، وتضاف إلى سابقاتها. "م. ن" طالبٌ جامعيٌّ في إحدى الكليات، يتحدّث عن المعاناة التي تبدأ من لحظة الوصول إلى الباب الخارجيّ للكلية والاحتكاك بعناصر الأمن، وخاصةً أيام الامتحانات، حين يبدأ التدقيق على البطاقات الشخصية، وتبدأ سلسلةٌ من الابتزاز والضغط النفسيّ: "حين وصلت إلى باب الكلية، في أوّل مادةٍ من موادّ الامتحان، طلب أحد العناصر بطاقتي الشخصية. سألني من أين أنت، وسخر من مدينتي ومن بيئتي وحتى من الاختصاص الذي أدرسه. لي أخٌ شهيدٌ، وحين سألني العسكري إن كان أحدٌ من أقاربي قد استشهد عشت لحظة رعب حقيقية. خشيت أن أقول له إن أخي شهيدٌ فيورّطني ذلك، وخشيت أن أكذب ويكون هو على علمٍ بالأمر، بطريقةٍ أو بأخرى، فيعرف أنني أكذب. ولكن الحمد لله انتهى الأمر بشراء باكيت دخانٍ وضعه في جيبه وأشار إليّ بقرفٍ أن أدخل لأقدّم الامتحان. هذه بالطبع صورةٌ من صور المعاناة التي يعيشها الطلبة عموماً، والطلبة الذين لهم أقارب في الجيش الحرّ خصوصاً. باختصار، هناك حالةٌ من الابتزاز يتعرّض لها الطلبة قبل الدخول، مع الكثير من الضغط النفسيّ".

في ورقة الامتحان... حساباتٌ أمنيةٌ وليست علمية

وبعد أن يدخل الطالب إلى الجامعة هناك معاناةٌ أخرى، تبدأ بقلّة التنظيم وتنتهي بالفساد بكلّ أشكاله. فبحكم وقوع الجامعة في المناطق التابعة للنظام، والمحكومة أمنياً من قبله، فلا بدّ أن تكون هناك معاملةٌ خاصّةٌ للطلبة والطالبات الذين لهم صلةٌ، بشكلٍ أو بآخر، بالفروع الأمنية.

الطالبة "س. ف" تحدّثت عن تلك الحالة بقدرٍ كبيرٍ من الحسرة، فبعد أن كانت من المتفوّقات في السنتين الأولى والثانية تراجع معدّلها بسبب انخفاض العلامات التي حصلت عليها في موادّ السنتين الأخيرتين، مما يؤثر على مستقبلها بشكلٍ عامّ: "باختصار، لا توجد مراقبةٌ تتعلق بالأساتذة الجامعيين، ولا أيّ شكلٍ من أشكال المحاسبة. ولا يجوز للطالب الاعتراض على علامته بالرغم من أنه يدرك تماماً أن هذه ليست العلامة التي يستحقها، وأن طالباً آخر قد حصل على علامةٍ عاليةٍ لا يستحقها لأنه ابن مسؤولٍ أمنيٍّ أو قريبٌ له. صار من الثابت لدى الطلبة أن

العلامات وارتفاع المعدّلات وانخفاضها له حساباتٌ أمنيةٌ وليست علمية. بل وربما قلةٌ من الأساتذة من يدققون في أوراق الامتحانات، أو ربما ينظرون إليها حتى. ولا يختلف الأمر كثيراً حين نتحدّث عن العلاقات بين الأساتذة أنفسهم، وارتفاع صوت أحدهم على الآخر لأن له ارتباطاً أمنياً أقوى من غيره".

حين يثأر بعض الأساتذة لكرامتهم

هذا على مستوى الامتحان، أما في الأيام العادية للدراسة في الجامعة فلا يقلّ الأمر سوءاً عن أيام الامتحانات وطريقة إدارتها. فهناك استهتارٌ كبيرٌ بجهد الطلبة من قبل الدكاترة القائمين على التعليم. "نور" طالبةٌ جامعية، تتحدّث عن بعض السلوكيات التي يمارسها الأساتذة في الجامعة، وخفض رأسهم أمام أصغر عنصر أمنٍ يمكن أن يطرق بابهم: "في المدرّج الدراسيّ، وأثناء المحاضرة، قد تجد ابن مسؤولٍ أمنيٍّ (صغير أو كبير) يخرج ويدخل إلى المحاضرة كما يشاء، أو يأتي السائق الخاصّ لكي يصطحبه دون أيّ اعتبارٍ للمحاضرة القائمة. هذا من جهة، ومن جهةٍ ثانية هناك سلوكٌ مغايرٌ من قبل الأساتذة تجاه الطلبة العاديين، فهم يتعاملون بفوقيةٍ شديدةٍ مع عموم الطلبة. وكأن الأستاذ، من خلال هذا السلوك، يحاول الثأر لكرامته عبر إذلال بقية الطلبة الذين لا "سند" أمنياً لهم. عدا عن الاستهتار بجهد الطالب - وهذا الأمر كان موجوداً قبل الثورة من قبل العديد من الأساتذة، إلا أنه أصبح سلوكاً عاماً وطبيعياً بعد الثورة، ولا يجوز الاعتراض عليه - فقد يحدّد الأستاذ جزءاً من المقرر ثم توضع أسئلة الامتحان من جزءٍ آخر لم يكن قد مرّ عليه أبداً".

ومن الظواهر التي كانت موجودةً، ولكن على نطاق ضيق قبل الثورة، واستفحلت الآن بشكل يدعو إلى اليأس بين الطلبة، ظاهرة شراء المواد. فلدى العديد من الأساتذة سعرٌ معينٌ لكلّ مادة، بل الأدهى من ذلك أنه لدى بعضهم سعرٌ لكلّ معدّل نجاح بالمادة. ولا يحتاج الطالب إلى عناءٍ كبيرٍ للعثور على طريقة الوصول إلى الأستاذ ومعرفة "تسعيرة المادة"، فهذه الأمور تتمّ على المكشوف ومن دون مساءلة. وقد يرتفع سعر المادة بحجة ارتفاع الأسعار عموماً، والغلاء الذي يلتهم كل شيء! وعلى الطالب أن يدفع ضريبة ذلك إن أراد النجاح.

بالطبع، سلوكياتٌ من هذا النوع كانت موجودة أساساً قبل الثورة، ولكنها لم تكن فاقعةً إلى هذا الحدّ، بشكل جعل من الجامعة مكاناً أمنياً بامتياز، ومن أستاذ الجامعة شخصاً فاسداً أو شخصاً بلا قيمة، ومن الطلبة أشخاصاً لا يحقّ لهم الدفاع عن أنفسهم أو المطالبة بحقوقهم.

كليّة الطب البشريّ... كليّةٌ بدون مقوّماتٍ حقيقية

يشكو طلاب الكليات العلمية في جامعة الفرات في دير الزور، وخاصةً أولئك الطلبة الذين انتقلوا إليها "نقلاً شرطياً" من جامعتي حلب ودمشق، من سوء الخدمات التعليمية المقدّمة لهم بالمقارنة مع الجامعتين المذكورتين. وتتضح هذه المشكلة أكثر عند الطلبة في كلية الطبّ، فقد تحوّل المنهاج لديهم إلى منهاج نظريٍّ تقريباً، بلا أيّ شكلٍ من أشكال التفاعل مع المادة العلمية. فصارت المقرّرات المعطاة للطالب مجرّد معلوماتٍ مهمته الاحتفاظ بها في دماغه ثم تسجيلها على ورقة الامتحان، ليتمّ محوها بشكلٍ تلقائيٍّ من ذاكرته بمجرّد خروجه من قاعة الامتحان. وكلية الطب في دير الزور هي أساساً كلية حديثة النشوء، لم يتمّ لها استكمال احتياجاتها قبل الثورة، فقد كانت تتشارك مع بعض الكليات التي سبقتها في العدد والأدوات المخبرية. وقبل أن تكمل الكلية الأساسيات الضرورية لأية كلية طبٍّ بشريٍّ بدأت الثورة وعاشت البلد حالة فوضى كبيرةً لم تسمح لها بالنهوض كما يجب، وبدا النظام غير معنيٍّ بتقديم ما تحتاجه الكلية بصورةٍ سليمة. فلا تزال هناك مشاكل كبيرة تعيق إعداد الطالب بشكلٍ يتناسب مع المهمة التي ستلقى على عاتقه. ومن هذه المشاكل ما يتعلق باستكمال المعدّات الأساسية من مخابر وغير ذلك، بالإضافة إلى مشاكل تتعلق باستكمال الكادر التعليميّ، خاصةً بعد هجرة العديد من الأطباء إلى خارج القطر، أو ابتعاد بعضهم عن التدريس في الجامعة لأسباب أمنية. وقد شكّل هذا النقص ثغرةً كبيرةً لجأت إدارة الجامعة إلى سدّها بالاستعانة بأساتذةٍ ليست لديهم الكفاءة العلمية التي تؤهلهم للتدريس في الكلية.

تدهور اقتصاد الرقة وانهيار بنيته الأساسية

ضعفٌ في الإنتاج ومشاكل متفاقمةٌ في سوق العمل

الرقة | مرفت أمين

يعاني الاقتصاد السوريّ اليوم بشدّةٍ من قلة الموارد وانحسار فرص العمل، والتضخم المستمرّ لاقتصادٍ أخذ يتحوّل بسرعةٍ الى اقتصادٍ استهلاكيٍّ صرف، مدفوعاً بالأزمة السورية المستحكمة، والحرب المستمرّة التي طحنت رحاها الإنسان والمجتمع والدولة، ما ينذر بكوارث كثيرةٍ قادمةٍ ستضرب حياة السوريين وتزيد في معاناتهم. وفي الرقة يشهد السوق موجاتٍ متتاليةً من الغلاء ضربت أركانه، ارتفعت حرارتها فوق حرارة شمس تموز، في فصلٍ كان من المفترض أن يكون فصلاً للمؤونة وتخزين المواد استعداداً لشتاءٍ طويل.

انهيار سوق العمل

أمام سوق الخضرة، وبالقرب من دوّار "الدلة"، يجلس بعض الرجال منتظرين رزقهم. هم عمال "الفاعل" كما يطلق عليهم. يلفت الانتباه بينهم رجلٌ في منتصف العقد الخامس من عمره. الجميع يدعوه هنا "العم عمّاش". يقول واصفاً حاله: "أنتظر قدوم أيّ شخصٍ يحتاج إلى مساعدةٍ في عمله أو منزله، لأذهب معه"

كان عمّاش في السابق عاملاً في إحدى مؤسسات الدولة، قبل أن يتمّ سجنه لمدة ثلاثة أشهر ثم تسريحه من العمل، لكن ذلك لم يؤثر في عزيمته كما يبدو. يشير بيده مبتسماً: "عملت في كلّ شيء؛ تصليح الكهرباء والماء، وحمل الأغراض ونقل الرمل والبلوك، أيّ شيءٍ يؤمّن لي قوت يومي".

اليوم، لا يمتلك هذا الرجل دخلاً ثابتاً، وهو بحاجةٍ إلى النهوض كلّ يوم والعمل أياً كانت الظروف. ويعبّر عن ذلك بقوله: "اليوم الذي لا أعمل فيه لن آكل فيه". ليس هناك أجرٌ ثابتٌ لهؤلاء العمال، بل يتوقف الأمر على ما يتفقون عليه مع من يستخدمهم وما تجود به كفه، لكنه في الغالب يتراوح بين 1500–600 ل.س، بما يعادل 5 دولاراتٍ إذا كان بسيطاً، ويرتفع كلما زادت المشقة والكمية. وقد يتشارك فيه عددٌ من العمال ثم يتقاسمون الأجر بينهم.

يعاني السوق هنا بشدةٍ، فقد تراجعت فرص العمل في المدينة، وخاصةً بعد هجرة الكثير من التجار والمستثمرين منها، وانخفاض واردات الزراعة، إضافةً إلى رحيل عددٍ لا بأس به من الطبقة الوسطى (موظفي القطاع العام) عن المدينة مدفوعين بأسبابٍ داخليةٍ وخارجية.

يعيش عمّاش مع أخيه في بيتٍ صغيرٍ في حيّ رميلة. وهما تعملان بدورهما في نسج الليف والخياطة، في محاولةٍ لمساعدته على تكاليف الحياة التي ارتفعت كثيراً، فثمن جرة الغاز وصل إلى 4000 ل.س، أي ما يعادل 13 دولاراً تقريباً. بينما متوسط الدخل 17000 ل.س، أي ما يعادل 100 دولار، ما يخلق فجوةً بين حاجات الأفراد الأساسية ومداخيلهم.

كل شيءٍ توقف في الرقة. والطفرة التي أحدثها نزوح مئات آلاف اللاجئين إلى المدينة تلاشت مع خروجهم منها، ما انعكس على انخفاض أسعار المنازل وأجرتها، وأثر على تناقص حركة البناء بشكلٍ ملحوظ.

سوق الجمعة في الرقة | من موقع alazmenah.com

"تمرّ الرقة بأيام شدّة"، يقول عمّاش وقد بدت خطوط الزمن واضحةً على جبينه، وعيونه الحائرة تكاد تصف مرارة الحال هنا. هو وجهٌ آخر للمأساة التي تتراكم بعد شحّ الكثير من الموارد، ونقص فرص العمل التي تتناسب مع قدرة كلّ فردٍ وإمكاناته.

تداعياتٌ اجتماعية

بيع السلع الاستهلاكية، وبخاصةٍ منها المواد الغذائية، على العربات المتنقلة أو البسطات، يوفر مجالاً مفتوحاً للعمل طوال العام دون الحاجة الى إمكاناتٍ كبيرة، ولذلك يلجأ إليه أغلب الباحثين عن عمل.

غير بعيدٍ عن إحدى فروع جامعة الفرات في الرقة، وعلى بعد أمتارٍ من متحف المدينة، ينتشر عددٌ من الشبان الذين يبيعون الخضار على الرصيف. أحدهم هو محمد، شابٌّ في التاسعة عشرة من عمره، يقول: "كان يفترض أن أكون قد أنهيت عامي الأول في الجامعة، لكن حاجات أهلي دفعتني إلى سوق العمل. الأسعار هنا في ارتفاعٍ مستمرٍّ والموارد محدودة".

ليس محمد الوحيد بين العاملين الذي ابتعد عن مقاعد الدراسة، فإلى يمينه يجلس طفلٌ في الثالثة عشرة من عمره، يبيع البطيخ الأحمر أو ما يعرف هنا بـ"الجبس"، وكثيرٌ غيرهما ينتشرون في شوارع المدينة. فالأولوية، بشكلٍ قاطع، هي لتأمين لقمة العيش. الكثيرون هنا هجروا طفولتهم مبكراً وزُجّ بهم في سوق العمل، مدفوعين بالحاجة إلى ما يسدّ رمقهم ويدفع عن عوائلهم ذلّ السؤال.

يقول محمد: "ربما ليست مصادفةً أن نجلس هنا بين بيت العلم الذي يفترض أن يصنع المستقبل وبيت التاريخ الذي يفترض أن يجمع الماضي. وكلاهما أصبح اليوم خاوياً على عروشه واستحكم فيه الفراغ والخراب، فلا غرابة لحالنا هذا".

من صفحة "عدسة شاب رقاوي"

مهنٌ مستحدثة

"أوجدت هذه الأزمة أسواقاً جديدةً أبرزها سوق الصناعة النفطية"، كما يقول أبو قاسم، الذي يعمل مع أولاده الأربعة في بيع المشتقات النفطية قرب حديقة "البجعة"، ليضيف: "مناطق محدودةٌ في سورية هي التي استفادت من النفط وخيراته، أما البقية فبقيت لها المعاناة من الآثار السلبية متمثلةً بارتفاع الأسعار الذي انعكس أثره على كل أوجه الحياة وكلّ السلع".

الرجل، الذي يتناوب مع أطفاله الثلاثة على أربعة براميل لأنواعٍ مختلفةٍ من الوقود، صُنّفت بحسب نوعها وجودتها، يقول: "كنتُ أملك محلّ ملابس في حلب، لكن ظروف الحرب أجبرتنا على النزوح إلى الرقة. وهنا لم أجد ما أعمل فيه، بعد أن خسرت كلّ ما أملك، سوى بيع النفط. عملٌ سهلٌ ولا يحتاج إلى الكثير من الخبرة، كما أنه يدرّ ربحاً معقولاً. ليضيف مازحاً: "بقية المهن اليوم تشكو الكساد".

ورغم أن بيع النفط ومشتقاته يوفر اليوم الكثير من فرص العمل للأفراد، من خلال شراء هذه المواد من التجار ثم بيعها من جديد، إلا أنه يبقى محدود الأثر في الاقتصاد، رغم مردوده، شأنه في ذلك شأن جميع أنواع "الوساطة"، إضافةً إلى المخاطر الصحية العديدة التي يسبّبها عدم استخراج النفط بشكلٍ صحيح، وعدم فرزه وتنقيته كما يجب لتقليل مخاطره الكيميائية.

مهنةٌ أخرى وجدت طريقها بشكلٍ كبير إلى سوق الرقة، وهي مقاهي الإنترنت التي تنتشر اليوم بشكلٍ كبيرٍ في كلّ الشوارع، ما جعلها معرضاً للنكات والتهكم، فهي "صنعةٌ من لا صنعة له"، وهي عمل الجميع، و"إذا مفتضي افتحلك مقهى".

وجدت هذه المهنة سوقاً مفتوحاً لها وترحيباً من المستهلكين، بعد انقطاع وسائل الاتصال، واستطاعت أن تحجز لنفسها حصةً كبيرةً من السوق، ولكن دون أن تحقق عمالةً موازيةً (فرص عمل) تتناسب وحجم الاستهلاك الكبير لهذه الخدمة.

ويرى الكثير من المحللين أن تحوّل الرقة من مدينةٍ ذات اقتصادٍ مختلطٍ قبل عامين - زراعيٌّ في أغلبه، وتجاريٌّ في بعض جوانبه، وبدء وجود بنيةٍ تحتيةٍ لقاعدةٍ صناعيةٍ وإن كانت أوليةً - إلى اقتصادٍ استهلاكيٍّ بالمطلق وغير قادرٍ على العمل والإنتاج، سيترك الأبواب مشرعةً للمجهول الذي يعصفُ بواقع ومستقبل هذه المدينة بشكلٍ خاصٍّ وسورية بشكلٍ عامّ.

سوريون يعملون بـ"الفاعل" في الأراضي التركية بأجورٍ زهيدة.. والشاويش وسيطهم

سمر مهنا

سوريون في حقول هاتاي | من موقع sanliurfahaber.com

لم تتأخر أم سامر يوماً، هي وبناتها الثلاث، عن موعد قدوم الشاحنة التي تقلهنّ يومياً، هنّ ونساء أخريات، للعمل بما يسمى"الفاعل"، أي كفلاحين دون خبرةٍ، في أراضٍ تركيةٍ متاخمةٍ لأراضي بلادهم الممتدّةً على الجهة الأخرى من الحدود.

كانت أغنيتهنّ اليوم على طريق الحقول "مدلل والله مدلل". 20 امرأةً يُحشرن كلّ يوم في خلفية الشاحنة وهنّ واقفاتٌ وبأيديهنّ "الزوّادة" وأدوات العمل. وأوّل ما يتراءى لك، والشاحنة قادمةٌ من بعيدٍ، كتلةٌ من الألوان المختلطة ووجوهٌ مغطاةٌ لا يظهر منها إلا العيون والأنف.

أم سامر، التي التقيناها بعد عودتها من العمل، كانت ترتدي قطعاً ملونةً غير متناسقةٍ أسمتها "ثياب العري". بدت آثار الشمس واضحةً على وجهها، لكنها كانت بمزاج جيدٍ على الرغم من عملها المجهد في شهر رمضان والحرّ الشديد. حدثتنا عن صعوبة قطاف القطن، وعن وجوب النزاهة؛ فالـ"شاويش يحاسبنا على الكيلو"، ونستطيع اقتلاع الشتلة من جذرها لزيادة وزن منتوجنا، لكنه قد يكشفنا. وهذا أمرٌ لا أستطيع القيام به".

الشاويش، كما تقول أم سامر، موظفٌ لدى مالك الأراضي، وهو الذي يجمع له العمال. وفي وضع سورية الحالي أغلب الفلاحين الذي يعملون في الأراضي التركية سوريون، أما من أمّن لها العمل فهو مختار القرية".

المختار يحبّنا

وصلت أم سامر إلى قرية كريخان التابعة لإقليم أنطاكية في تركيا قبل عام ونصف، بعد أن قصف النظام جسر الشغور. خرجت من منزلها، هي وزوجها وخمسة أولادٍ، بـ"ثيابهم" فقط، دون أيّ شيءٍ آخر. كانت في سورية ربة منزل، أما زوجها فكان سائق "تكسي". تبيّن: "أهلي كانوا فلاحين، لكنني لم أعمل في الأرض أبداً. وهنا اضطررت إلى ذلك، لأنه لا يوجد عملٌ لنا".

بعد شهرٍ من وصول أم سامر وعائلتها إلى تركياً ساءت أحوالهم جداً، فقد كانوا يعتمدون على إعانات الجيران الأتراك، إلى أن طلب المختار من الشاويش ان يأخذهم للعمل في الأرض مقابل 20 ليرةٍ تركيةٍ في اليوم.

تقول أم سامر مبتسمة: "المختار يحب السوريين لأن أنسباءه منهم، كما تعود أصوله إلى مدينة حمص. وهو شخص طيب".

أغلب أهالي ما يسمى بإقليم "هاتاي" في تركيا، ولواء إسكندرون في سورية، يتكلمون اللغة العربية، لأن الإقليم كان جزءاً من سورية قبل 74 عاماً. والعديد من العائلات المقيمة في الإقليم تربطهم روابط قرابةٍ مع عائلاتٍ سوريةٍ مقيمةٍ على الحدود.

اللغة العربية ساعدتنا

تقول أم سامر إن تكلم الأتراك، في القرية التي تقيم فيها، اللغة العربية ساعدهم كسوريين على التأقلم بسرعةٍ أكبر والاندماج في المجتمع هناك. لكن، بالرغم من ذلك، توجد العديد من الحدود المرسومة بينهم.

أغلب الرجال السوريين الذين لجأوا إلى ريف "هاتاي"، مع أبنائهم وزوجاتهم، يعملون بشكلٍ مياوم في البناء أو الأراضي. وبحسب محمد، وهو ابن شاويش يعمل في قرية التونوز بريف أنطاكية، فإنهم نافسوا العمال الأتراك على أجورهم. فبعد أن كان عامل البناء التركيّ يتقاضى 35 ليرةً تركيةً في اليوم أصبح الآن يأخذ 15 ليرةً، بسبب رخص اليد العاملة السورية.

ويبين محمد أن موسم المحصول الحاليّ هو القطن والبندورة، مشيراً إلى أن هناك عائلاتٍ سوريةً مؤلفةً من 10 أشخاص يعمل 7 منهم في الزراعة، وهذا ما يؤمّن دخلاً مقبولاً لهم.

لسنا جميعا فلاحين

تقول أم سعيد، وهي تعمل أيضاً في قطاف القطن حالياً، إنها كانت تعمل في سورية كممرضة، لكن في تركيا لا توجد شواغر للسوريين، وفي حال وجودها فهي قليلةٌ وتحتاج إلى إتقان اللغة التركية، والأولوية للمواطنين الأتراك.

هذه ليست حال أم سعيد فقط، بل رنا أيضاً، التي تركت سورية وهي في عامها الجامعيّ الثالث، وهي تعمل في الأرض حالياً لتأمين إيجار البيت الذي تسكنه مع إخوتها، وطعام بسيطٍ يكفيهم الشهر، على حدّ قولها.

أجور المنازل مرتفعة

مثلما أثّر العراقيون سابقاً في سورية، رفع السوريون إيجارات المنازل في المدن التركية الحدودية مع سورية. لكن، على حدّ قول أبو مازن، يستغلّ بعض الأتراك حاجة السوريين أيضاً، مشيراً إلى أن إيجار منزله غير المكسّي، والذي يشبه "الحظيرة"، يبلغ 300 ليرةٍ تركية، فيما كان إيجاره لا يتجاوز 100 ليرةٍ قبل قدوم السوريين.

يبيّن أبو مازن أن عملهم بـ"الفاعل"، أي كفلاحين بدائيين في الأرض، لا يكفي

شباب سوريون يعملون بجني القطن في تركيا | من موقع النيويورك تايمز

أجرة المنزل والكهرباء والماء والطعام، ما دفعه إلى أن يطلب من زوجته العمل في الأرض، بعد أن كانت ربة منزلٍ منذ أن تزوجها. لكنه أشار إلى وجود العديد من العائلات التركية التي ساعدت السوريين، إذ قدّمت لهم البيوت بأجورٍ زهيدةٍ ريثما يحصلون على عمل، ومنهم من ساعد بفرش المنزل ولو كان بسيطاً.

الحنين يجمعنا

يبلغ عددهنّ 20 امرأةً، يجلسن في مجموعاتٍ خلال فترة الغداء تحت ظلال منزلٍ أو شجرةٍ قريبة، يتحدثن عن ذكرياتهنّ في البلاد أو عن منازلهنّ التي تهدّم معظمها، وبعضها الآخر لا يعلمن ما حلّ به. يناقشن أسعار المواد الغذائية وصعوبة الحصول عليها، أو يقدّمن العزاء لمن رحل عزيزٌ لها في سورية.

تقول شيرين (21 عاماً): أكثر ما يعيننا على الحياة هنا أحاديثنا عن البلاد خلال استراحاتنا. أحياناً أفكر أنه لا يفصلني عنها سوى خط حدودٍ دقيق. ليتني أستطيع العودة. ولو تهدّم منزلي سأنصب خيمةً مكانه، لا مشكلة لديّ. أما رحاب (30 عاماً) فتقول: ما يصبّرنا على العمل معاملة الشاويش الجيدة لنا. هناك آخرون معاملتهم سيئة جداً، وقد يأكلون عليك أجرك، أما هو فيمازحنا باستمرار. لكنني طلبت منه أمس إذناً بالذهاب إلى المنزل بسبب تعبي الشديد فقال لي أن أكمل عملي حتى نهاية اليوم.

حفنة تراب

قرّرت رحاب زيارة سورية خلال فترة العيد لمدة 10 أيام، فهي لم تعد تحتمل غيابها عن قريتها في ريف جسر الشغور بإدلب أكثر من ذلك. تصف الوضع في قريتها بغير الآمن، لكن والدها ووالدتها ما زالا يقطنان هناك. وعند سؤالها لماذا لم يأتيا إلى تركيا قالت إن أباها أصيب بتسرّع القلب بسبب خروجه من القرية مرةً، وأنه أخبرها عندما هاتفها مؤخراً أنه كالسمك لا يستطيع العيش بدون ماء.

تقول رحاب إن صديقتها الحموية، التي لا تستطيع زيارة سورية، أوصتها بأن تجلب لها حفنة تراب لتحتفظ بها داخل كوب وتزرع فيها "ريحانة". ثم تختتم بالقول إنها وعدت الشاويش بأنها ستعمل مدة 4 أيام مجاناً إذا رحل بشار واستطاعت العودة إلى البلاد.

إجراءاتٌ جديدةٌ لتنظيم شؤون اللاجئين السوريين

تعمل السلطات التركية على تأسيس إدارةٍ مدنيةٍ تابعةٍ لوزارة الداخلية لتولي شؤون الأجانب، تحت مسمّى "المديرية العامة لإدارة الهجرة" بدلاً من "إدارة شؤون الأجانب"، تعنى بتنظيم منح التأشيرات وتصاريح الإقامة وأذون العمل للاجئين وفق المعايير الدولية.

ويبلغ عدد السوريين الذين يعيشون في المدن التركية 900 ألفاً، حسب إحصائيات رئاسة الوزراء التركية، في حين يعيش حوالي 219 ألفاً آخرين في المخيمات، ليصل المجموع إلى 1.1 مليون سوريّ.

ويحمل المقيمون خارج المخيمات بطاقةً لا تمنحهم حق العمل. ولكن الحكومة التركية تعمل على إصدار قانونٍ جديدٍ سيحدّد أصول وأساس عمل هؤلاء الأشخاص، ويفتح لهم الباب من أجل الحصول على إذن عمل، بحسب صفحة "الفيسبوك" لموقع "ترك برس" الإخباري.

وسيتمّ، وفق القانون الجديد، التعديل على قوانين الدفعات المستحقة لمؤسسة الضمان الاجتماعيّ، لتشجيع تشغيل السوريين، بحيث يدفع أرباب العمل 2% فقط من الأجر لمؤسسة الضمان، بما يشمل الضمان الصحيّ في حالات المرض والحوادث (في الأحوال العادية يدفع رب العمل 32.5% للضمان الاجتماعيّ)، ما يمكّن السوريين من العمل في المناطق التي يقيمون فيها دون الحاجة إلى مغادرتها إلى المدن الكبيرة.

وكانت وزارة الداخلية التركية قد أصدرت، عام 2012، قراراً بمنح السوريين إذن إقامةٍ كل 5 أشهر في البداية، ثم أصبح كل سنة، يؤهلهم للحصول على إذن عمل. لكن هذا الإذن لا يُمنح لمن هم في وضع "الحماية المؤقتة"، وبالتالي لا يمكنهم الحصول على إذن عمل، فلذلك هم بحاجةٍ إلى إصدار قانونٍ خاصٍّ بوضعهم.

القطن...
من محصولٍ إستراتيجيٍّ إلى محصولٍ مهدّدٍ بالتلاشي

بلال عبد القادر

تعرّضت المحاصيل الإستراتيجية لأضرارٍ كبيرةٍ بعد الثورة، ولعلّ القطن من أبرز المحاصيل المتضرّرة.

أسبابٌ عديدةٌ أسهمت في تراجع هذا المحصول بشكلٍ كبير، بعد أن كانت سورية تتميز به عالمياً. يقول فادي هلال، وهو مهندسٌ زراعيٌّ من محافظة دير الزور: تراجعت، في السنوات الثلاث الأخيرة، إنتاجية القطن كماً وكيفاً؛ فمن جانب المساحات حدث تناقصٌ مستمرٌّ في الأراضي المزروعة، إذ كان من المفترض في عام 2013 أن يزرع في دير الزور، وبحسب الخطة المقرّرة لوزارة زراعة النظام، ووفقاً لأرقامها حول الموسم القادم؛ نحو 30 ألفاً و891 هكتاراً، لم يزرع منها عملياً سوى ما يقارب نصف هذا الرقم، رغم وجود سعرٍ تشجيعيٍّ يُدفع للفلاح من قبل محالج النظام التي تشتري الأقطان (لما يسمّى القطن الجيد)، وبلغ هذا السعر 51 ليرةً سوريةً في عام 2012، ليصل إلى 100 ليرةٍ للكيلو غرام الواحد في عام 2013.

وبحسب ما يدّعي الدكتور مجد أيوب، مدير الاقتصاد الزراعيّ في وزارة زراعة النظام، في أحد تصريحاته المنشورة على موقع الوزارة، فإن النظام يقدّم للفلاح ربحاً يقارب ثلاثاً وعشرين ليرةً لكل كيلو غرام، وذلك لأن تكلفة إنتاج كيلو القطن تبلغ 77 ليرة، بينما يشتريه النظام بسعرٍ قدره 100 ليرة.

ورغم هذه المغريات التي يتبجّح موظفو وزارة الزراعة بتقديمها للفلاح، إلا أن واقع هذه الزراعة على الأرض سيءٌ جداً؛ فهناك غلاءٌ شديدٌ في قيمة الأسمدة، والبذار، وكذلك المحروقات، عدا عن الصعوبات في عمليات نقل المحصول عند تسويقه وتوصيله للمحالج، بل قد يستحيل ذلك في بعض الأحيان بسبب الأوضاع المضطربة وغير المستقرّة على الطرقات، فيعجز بعض المزارعين عن تسويق أقطانهم خوفاً من الاعتقال التعسفيّ من قبل قوات النظام. وهذا ما يدفع معظم المزارعين إلى الوقوع تحت رحمة التجار والسماسرة الذين يعرضون أسعاراً غير عادلةٍ ولا تعوّض خسارة الفلاح وتعبه.

من مواسم القطن السابقة ، لمزيد من الصور انظر الغلاف الخلفي

وهناك مشكلةٌ أخرى في زراعة القطن بدير الزور هي التلوّث النفطيّ وسُحب الدخان الأسود الناتجة عن الحرّاقات أو مصافي النفط الخام، والتي أثرت على جودة الإنتاج بشكلٍ كبير، حتى أن الكثير من مزارعي المناطق التي تكثر فيها الحرّاقات لم يتشجع على زراعة القطن. وإذا أردنا ان نقدّر تراجع الأراضي الزراعية في المنطقة الشرقية فإنه يتجاوز الـ 70% من إجماليّ الأراضي المزروعة بالقطن في سنوات ما قبل الثورة، رغم عدم وجود إحصائياتٍ دقيقةٍ بسبب غياب العمل المؤسّساتيّ على الأرض.

ويضيف هلال: كما يجب أخذ بعين الاعتبار غلاء الأدوية والمبيدات الزراعية، وندرتها في بعض الأحيان، الأمر الذي يجعل الجوّ مناسباً لانتشار الإصابات الحشرية والميكروبية في محصول القطن. كما لوحظ تقزّمٌ في حجم الثمرة ربما يكون سببه التلوّث، وربما هناك أسبابٌ مرضيةٌ أخرى لم تُجر الدراسة البحثية الكافية لتشخيصها ومكافحتها.

بعد تحرير ريف محافظة دير الزور قبل عامين من الآن، وبعد نشوء واقعٍ زراعيٍّ واقتصاديٍّ جديد، ظهرت الحاجة إلى بناء مؤسساتٍ بديلةٍ واقتراح حلولٍ فعالةٍ وسريعةٍ للمشاكل المستجدّة. لكن هذا لم يتحقق، وتُرك فلاحو دير الزور يواجهون مشاكلهم بأنفسهم دون مساعدةٍ من أحد، وخاصةً من شخصيات ومؤسسات المعارضة السورية الناشئة. ليؤدّي كلّ هذا الى تراجع هذا المحصول الاقتصاديّ الهام، في نواحي الإنتاجية والجودة والأرباح. ولم يطرأ، وخلال موسمين بعد التحرير، أيّ تحسنٍ على واقع هذه الزراعة إلا في بعض المحاولات الفردية التي تحاول تقديم بعض الحلول لمشكلات الانتاج، مثل قيام أحد السكان في قرية حطلة – شمال دير الزور – بإنشاء محلجة أقطانٍ بطاقةٍ انتاجيةٍ صغيرة، غير أنها قدّمت خدماتٍ كبيرةً لفلاحي المنطقة (أعدّت "عين المدينة" تقريراً عن هذه المحلجة في عددٍ سابق). ويُنتظر الآن من السلطات المحلية في المناطق المحرّرة القيام بخطواتٍ جادّةٍ استعداداً لموسم القطن الجديد، وعدم ترك فلاحي دير الزور مرةً ثالثةً في حالٍ من التخبط والضياع.

الغذاء في جبلَي التركمان والأكراد مؤمّنٌ بنسبة 70%... ونقصٌ في المياه وتوفير التعليم

هند عثمان

ذكر رئيس مكتب المعلومات ووحدة الدعم اللوجستيّ في المجلس المحليّ لجبلي الأكراد والتركمان، عمار خزينة دار، أن مهام المجلس تتلخص بتقديم السلل الغذائية والرعاية الصحية وإصلاح الطرقات والتواصل مع المنظمات في الداخل والخارج لتوفير الخدمات للمدنيين في المنطقة.

وفيما يخصّ الخدمات الطبية، أشار خزينة دار لـ"عين المدينة" إلى أن المكتب الطبيّ الذي كان موجوداً ضمن المجلس المحلّي تحوّل بفضل الحكومة المؤقتة إلى مديرية صحة خاصة بريف اللاذقية المحرّر، مقرّها في قرية يمضية على الحدود التركية.

الغذاء متوافرٌ عبر منفذين

وبالنسبة إلى الغذاء، أشار خزينة دار إلى عدم وجود أزمة لأن ريف اللاذقية متصلٌ بالريف المحرّر في إدلب، مشيراً إلى أن إدخال المواد الغذائية يتمّ عن طريقين؛ طريق يمضية الذي يعدّ منفذاً إنسانياً يتصل مباشرةً بمدينة يلداغ التركية بمسافة لا تزيد عن 1 كم، والطريق الثاني هو معبر باب الهوى الذي لا يبعد كثيراً عن ريف اللاذقية.

وحول التنسيق مع القوى الثورية بما يضمن دخول المساعدات أشار خزينة دار إلى أن هناك تنسيقٌ كبيرٌ مع كتائب الجبهة الإسلامية والكتائب الأخرى. لافتاً إلى أن تأمين الغذاء يتمّ بنسبة 70 إلى 80%.

ويبلغ عدد السكان المقيمين في ريف اللاذقية المحرّر 17 ألف نسمة تقريباً، بحسب رئيس مكتب المعلومات. وهو عددٌ يتغير بشكلٍ طفيفٍ بحسب الوضع الأمنيّ في المنطقة، إذ تدفع الغارات الجوية والقصف المدفعيّ، حين اشتدادهما، ببعض السكان إلى النزوح المؤقت.

تدمير البنى التحتية للمياه

وفيما يتعلق بالمياه، قال خزينة دار إن: "هناك نقصاً بسبب تدمير البنى التحتية بالقصف. وعلى الرغم من أن ريف اللاذقية غنيٌّ بالمياه، لكن المشكلة في استجرارها، بسبب انقطاع الكهرباء عن المنطقة منذ تحرير الريف، أي منذ عامين ونصف".

ولفت إلى أن قسماً من السكان يمتلك آباراً ارتوازيةً ومضخة مياه، وهؤلاء يتدبرون أمرهم. أما ما تبقى منهم فمساعدتنا لهم تنحصر بتأمين المحروقات، وذلك في حال كانوا ضمن تجمع يحوي 15 عائلةً، أي 50 شخصاً تقريباً، ما يسهّل عليهم استجرار المياه وضخها.

وأشار خزينة دار أن هذا كلّ ما يستطيع المجلس فعله، بسبب إمكانياته القليلة. موضحاً أن مساعدات الحكومة المؤقتة لمنطقة ريف اللاذقية قليلةٌ بحكم أنها خط اشتباكٍ مع النظام بمسافة لا تقلّ عن 35 كم، وهي معرضةٌ للقصف في معظم الأوقات بنسبة 50 إلى 60%، لذا هناك مخاطرةٌ بإقامة أي مشروعٍ تنمويٍّ فيها.

أربعة مخيماتٍ للنازحين

يستضيف جبلا الأكراد والتركمان مدنيين من مناطق أخرى، على الرغم من القصف الذي يتعرضان له. وبحسب رئيس مكتب المعلومات فإن المنطقة تحتوي على أربعة مخيمات لجوءٍ للنازحين من ريف إدلب ومن مدينة اللاذقية أو ريفها، تتضمن 2500 إلى 2600 شخص مسجلين، بالإضافة إلى مخيماتٍ عشوائيةٍ. مشيراً إلى أن المجلس المحلّي لا يستطيع وحده تلبية احتياجات المخيمات، التي تتلقى المساعدات من الهلال الأحمر التركيّ ومنظمة IHH التركية فيما يتعلق بالخيام والغذاء وغيرها.

لا رواتب للمعلمين

وبالنسبة إلى التعليم، أشار خزينة دار إلى وجود ما يزيد عن 1500 طالب في جبلي الأتراك والتركمان. والدعم الذي يأتي للمجلس المحليّ فيما يخص التعليم قليلٌ لا يغطي رواتب المعلمين، الذين لم يقبضوا رواتبهم سوى مرة واحدة. موضحاً أن المناهج التعليمية لا تختلف عن المناهج السابقة قبل الثورة، إلا ما تمّ تعديله فيما يتعلق بحزب البعث. كما لفت إلى وجود مديريةٍ للتعليم في الريف المحرّر.

وفيما يتعلق بهيكلية المجلس، قال رئيس مكتب المعلومات إنه: "يتألف من محامين ومهندسين وتربويين. وهو غير منتخب بل تم تشكيله بشكلٍ توافقيٍّ بعد اجتماعٍ شخصياتٍ بارزةٍ من جبلي التركمان والأكراد في الخارج، اتفقت فيه على تشكيل المجلس المحلّي".

وبيّن خزينة دار أنه قبل ستة شهور تم تشكيل بلدياتٍ منتخبةٍ تابعةٍ للمجلس عددها سبع، تم انتخاب رؤسائها بشكلٍ ديمقراطيٍّ من قبل السكان.

من أرشيف المجلس المحلي لجبلي التركمان والأكراد

هيئة الطبابة الشرعيّة:
مقاتلون من نوعٍ آخر في أحياء حلب

محمد نزار

بينما تواصل براميل نظام الأسد المتفجّرة سقوطها اليوميّ على أحياء حلب المحرّرة، وفي وقتٍ يعتبره الناس الأسوأ على سوريا منذ عهد العثمانيين، ولا سيما عند مشاهدة كمّ الضحايا المدنيين الذين يقضون بشكلٍ يوميٍّ دون أن توجد وسيلةٌ عسكريّةٌ تقف بوجه هذه الجرائم؛ يقوم مجموعةٌ من الشباب بتوثيق أعداد الضحايا عبر سيارتهم الصغيرة التي تنقلهم من مكانٍ إلى آخر على مدار 24 ساعة.

أبطالٌ من حلب

ليس الدفاع المدنيّ في حلب فقط من يقوم بواجباته الثوريّة في محاولة إنقاذ الناس من بين ركام المباني وإسعافهم، وإنما هناك أيدٍ خفيّة لم يتمّ إظهارها إعلاميّاً رغم أهميّة عملها لما بعد سقوط النظام. إنهم أفراد الطبابة الشرعيّة، وهم من يقوم اليوم بتوثيق أعداد الضحايا والجرحى ضمن سجلاتٍ وأرقام من أجل تقليص أعداد المفقودين. ويقومُ كادر الطبابة بذلك عبر معرضٍ للصور في قلب مقرّهم، يحتوي صوراً للجثث التي وردت إليهم. ويحاول الأهالي ممن فقدوا أقارب مراجعة المركز من أجل التأكّد من وجود ذويهم في الهيئة أو لا.

ومن أجل استعراض بعض المعلومات عن الأعمال التي يقومون بها يومياً في حلب، قابلت "عين المدينة" مدير هيئة الطبابة الشرعيّة، الخبير الجنائيّ أبو جعفر كحيل. وهو، مع مجموعةٍ من الشباب، مؤسّس الهيئة. يقول الكحيل إنّ السبب الرئيسيّ لإنشاء هيئة الطبابة الشرعيّة هو مجزرة النهر المعروفة في حلب، عندما تمّ إعدام عشرات المعتقلين ورميهم في نهر الشهداء. وأوضح الكحيل أنّ عمل الهيئة يقوم على عدّة إجراءاتٍ، فهناك العديد من السجلات، مثل السجلّ اليوميّ، وسجلّ التقارير الطبيّة، وسجلّ المفقودين، وسجلّ الأمانات، وسجلّ الوفيّات، وسجلّ الترحيل... إلخ. وتستقبل الهيئة يومياً عشرات الجثث من عدّة أحياءٍ مختلفة، وذلك بواسطة سيارتها الصغيرة التي تعتمد عليها أثناء العمل.

احتياجاتٌ ومشاكل

رغم عملهم التطوعيّ وجهدهم الشخصيّ الذي حاولوا من خلاله الوقوف مع غيرهم من أبناء حلب في أصعب الأزمات التي تمرّ بها المدينة، يعاني أفراد الهيئة، مثلها

هيئة الطبابة الشرعية لمحافظة حلب خلال عملها الميداني

مثل أي تجمع آخر، من نقص الكثير من المستلزمات الطبّيّة والتقنيّة من أجل ضمان استمرارهم بالعمل. فهم يحتاجون إلى بعض الكاميرات من أجل تصوير الجثث التي تردهم، وإلى سيّارة نقلٍ وجهاز إنترنت فضائيٍّ لنشر المعلومات لديهم والتواصل مع الشبكات الإعلامية لنشر أسماء الضحايا بشكلٍ يوميّ، وبعض الخزائن الحديدية لحفظ الملفات والأمانات، والألبسة الخاصة بأفراد الهيئة، ومعدّاتٍ لتشريح الجثث، وجهاز أشعة، وغير ذلك من الأمور الضرورية التي تفتقدها الهيئة أثناء عملها.

الشاب علي، من أبناء حلب، أبدى رأيه بنشاط هيئة الطبابة قائلاً: "سرّ صمود حلب إلى هذه اللحظة، ورغم البراميل المتفجّرة والقصف المستمرّ بالهاون والمدفعيات، أنّ أبناءها يقفون جنباً إلى جنبٍ في مواجهة شراسة النظام. وهيئة الطبابة الشرعيّة إحدى المكوّنات التي لا يمكن لحلب الاستغناء عنها". في حين يقول الطالب الجامعيّ شريف الأحمد: "مستقبلاً سيحتاج أهالي حلب إلى مراجعة مقرّ الطبابة الشرعيّة. اليوم لا توجد عائلةٌ لم تتضرّر من جرائم الأسد في حلب، وهناك مئات المفقودين لم يُعرف مصيرهم حتى الآن. فعمل الطبابة مهمٌّ جداً، خاصّةً في هذه المرحلة الحرجة".

ولكن، في كلّ الأحوال، يقتنع أهالي حلب بأنّ النشاطات المدنيّة لا تقوى إلا على تجميع انتهاكات النظام وتوثيقها لما بعد سقوطه، أمّا أن تحارب النظام بفعلٍ مدنيٍّ فلن يجدي. إذ بات العمل العسكريّ، ليس فقط في حلب بل في جميع المناطق المحرّرة، الملجأ الوحيد الذي سينقذ الشعب السوري من إجرام نظام الأسد. أمّا فيما يتعلق بالطبابة الشرعيّة وعملها اليوم فالجميع يتّفق على أنّ نتائج هذا العمل ستظهر فيما بعد، حين يعود الأهالي إلى حلب ويبحثون عن ذويهم. وقتها سيُدرك مدى أهميّة عمل الطبابة الشرعيّة.

البعث... التاريخ المخزي للسنوات الأولى في حكم سورية

محمد عثمان

عام 1969، عندما صدر هذا الكتاب عن دار النهار ببيروت، افتتحه مؤلفه بالقول: من كان يحسب أن البعث ينتهي إلى كلّ هذا العبث؟ من كان يحسب منا أن تصبح كلمة بعثيّ تهمةً يدفعها بعضنا عنه بسخرٍ مرّ؟ ولم يدُر في خلد الدكتور سامي الجندي على الإطلاق - وهو من الرعيل الأول للحزب وقياداته - أن يصبح البعث مسؤولاً الآن عن هذا القدر المهول من الإجرام والدمار، بعد مرور كل تلك السنوات على وصوله إلى الحكم، وعلى شهادة الجنديّ.

في بداية الكتاب، يستعيد المؤلف أيام البعث الأولى، يوم كان المؤمنون بفكرته مناضلين متفانين، يتنقلون بين القرى بمصروفاتهم الطلابية الشخصية البسيطة، لتبشير الفلاحين ودعوتهم إلى رفض الظلم الواقع عليهم. ودعوة العرب عموماً إلى التوحّد وبناء الدولة القوية ورفض هيمنة الدول الغربية. وقد شارك الجنديّ في هذه النشاطات منذ تشكل أولى خلايا الحزب، قبل الإعلان الرسميّ عن تأسيسه، عندما كان طالباً في جامعة دمشق، عام 1940، مثلما كان معظم أعضاء الحزب في العاصمة. فقد فشل التنظيم في ترسيخ وجوده بين أبناء هذه المدينة، واكتفى بأن يكون جسماً كبيراً برأس صغير.

وعبر السنوات تمرّ بالبعث منعطفاتٌ وسياساتٌ مختلفةٌ، وحقبٌ متسارعةٌ من تاريخ سورية. ويسجّل فيها الجندي - الأديب - انطباعاتٍ عميقةً وحاذقةً عن بعض الشخصيات. فزكي الأرسوزي «شاعرٌ يتألق صوراً... وديع المظهر، حتى إذا تكلم بدا ثائراً متوحشاً». أما ميشيل عفلق ففي سلوكه «طيب الفنان وعصبيته وقرفه وسوء ظنه، يصدّق ما يقال له إذا جاء من تلاميذه ويغريه المديح ويخدعه الرياء... إذا أهين حقد». والرئيس شكري القوتلي «من عالم لا ينتسب إلى القرن العشرين، غير قادرٍ على الاضطلاع بكلّ المهمات التي شاء قدر سورية أن تتحمّل أعباءها... لعب به الغرور فقد اعتبر نفسه الأمين على الاستقلال». بينما يبدو حسني الزعيم، الذي انقلب عليه، «مزيجاً من المعتوه ورجل الدولة». وأبرز ما يلفت في أديب الشيشكلي «قسوة وجهه وعجرفة تقاطيعه وصمته... ولكنه غنيّ الحدس يعرف ما يريد، مفهوم الدولة عنده واضحٌ... قويّ الفراسة، قويّ الشخصية... كان يائساً يخفي يأسه حتى عن نفسه... ظلّ وحيداً حتى في أوجه». أما أكرم الحوراني فكان «يبدو عليه صفاء الذهن والعنف، وهما شيئان قلما انسجما معاً... في ضحكه توترٌ يخفي طاقةً كبيرةً وقلقاً عصبياً»..

ولكن الشهادة الأبرز في الكتاب هي عن السنوات الأولى من حكم البعث في سورية، إثر انقلاب 8 آذار 1963. وعن هذه السنوات يقول المؤلف، الذي شارك في الحكم كقياديٍّ ووزير، إنها فوضى تحللت من كلّ خلق، مهما حاول المرء الإحاطة بتسلسل أحداثها وفهمه فشل، فالعلاقة الطبيعية بين الأسباب معدومة، وكلّ تعليل خطأ، وكلّ الأحكام صحيحةٌ وكلها غلط!

فقد بدأت «اللجنة العسكرية» التي أسّست أيام الوحدة بالسيطرة على الحزب، الذي لم يعد لأيّ مدنيٍّ فيه قيمةٌ جدية، بما فيهم قيادته العليا. إذ صار العسكريون يجتمعون منفردين ويقرّرون الأدوار ثم يهمسونها في آذان القياديين، فيلقون السمع والطاعة من مدنيين نسوا أفكار الحزب ومسيرته و«أووا إلى ظلّ الجزمة». فيما بدأت تظهر على العسكريين أعراضٌ مخيفةٌ، إذ أخذوا يستولون على كلّ شيءٍ ويتسابقون إلى المناصب الحسّاسة، يريدون أن يظلوا في الجيش وأن يكونوا وزراء وأعضاء في القيادة الحزبية، يريدون كلّ شيءٍ ولا يعرفون ماذا يريدون.

ومن منصبه كوزيرٍ للإعلام يقدّم المؤلف صورةً عن طبيعة حكم تلك المرحلة؛ فبعد أيام ثلاثةٍ على توليه الوزارة جاءه الرفاق بوشاياتهم عن من يريدون تسريحه من الموظفين، في تقاريرٍ متضاربةٍ تتهم هذا بالعداء للثورة وذاك بالعمالة لإسرائيل، في وقتٍ كان مقياس نجاح الوزير هو طول قوائم التسريحات! فالحزبيون وأقرباؤهم وبنو عشائرهم متلهّفون لجني ثمرات «النضال» والقربى، وقوافل من هؤلاء أخذت تترك القرى في السهول والجبال إلى دمشق، التي طغت القاف المقلقة على شوارعها ومقاهيها وغرف الانتظار في الوزارات.

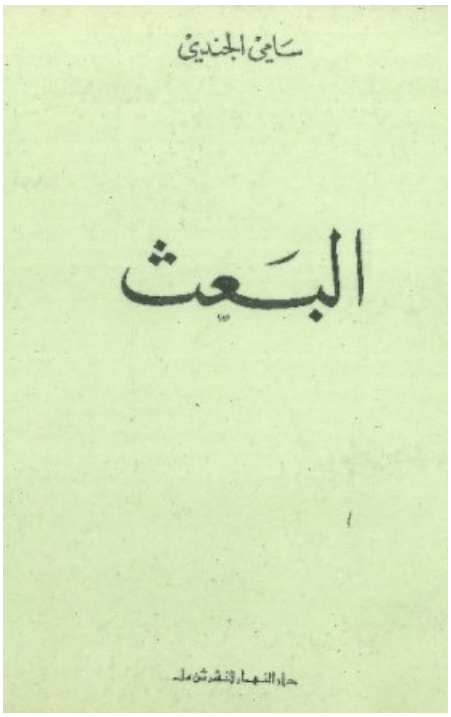

الطغمة المشبوهة التي تحافظ على بقاء النظام

بنيامين بارث/ اللوموند | ترجمة مأمون حلبي عن الإنكليزية

بالرغم من مشهد الدمار الموحش الذي يخلّفه جنود النظام، والعقوبات الاقتصادية المفروضة من قبل الغرب، ما زال بضعةٌ من أصحاب المشاريع الذين في دائرة نفوذ السلطة يراكمون الأرباح. وهم يكشفون الغطاء عن جزءٍ من هذه المنظومة العجيبة والمتوحشة التي تسمح للأسد بالحفاظ على ولاء تابعيه، وبتمويل حربه ضد المعارضة.

إن النزف المنهج الذي تتعّرض له البلاد، واعتماد النظام على حلفائه، ولا سيما إيران، أمرٌ لم يكن أبداً بالشدّة التي هو عليها الآن.

يقول صديقٌ سابقٌ مقرّبٌ من عائلة الأسد: "خزينة الدولة لا يدخلها دولارٌ واحدٌ تقريباً بطريقةٍ مشروعة. آبار النفط حالياً تحت سيطرة المتمرّدين أو الأكراد، والناس لم تعد تدفع الضرائب ولا فواتير الماء والكهرباء، وكلّ ما تبقى لدى النظام ليدفع أجور موظفيه هو عمليات الاحتيال المالية والمساعدة المباشرة من إيران والعراق". بخصوص عمليات الاحتيال، ما زال رامي مخلوف هو المعلم. فهو يسيطر على قطاعاتٍ كبيرةٍ من الاقتصاد السوريّ، بما فيها شبكة سيريتل للخليوي. وقد قام، بالاشتراك مع أيمن جابر وعبد القادر صبرا، وهما رجلا أعمالٍ من الساحل، وسمير حسان، وهو موظفٌ سابقٌ في شركة نستلة، بالاستثمار في استيراد المواد الغذائية، وخصوصاً القمح والأرز والسكر والشاي. ظهرت هذه السوق الجديدة بعد مواسم العام الماضي السيئة، وبعد أن سيطر المتمرّدون على مناطق ريفيةٍ شاسعة. وعلى خلاف النفط، لا يشمل الحظر التجاريّ الأوربيّ المواد الغذائية. وكان استيراد النفط ضربة حظٍّ أنتجتها الأزمة. وقد تمّ تسليم عملية الاستيراد للقطاع الخاصّ بعد أن فقدت الدولة سيطرتها على مواقع الاستخراج في دير الزور والحسكة. هذه السوق أكثر جاذبيةً بكثيرٍ لأن إيران قد منحت سوريا قرضاً بقيمة 3,6 مليار دولار لشراء النفط الخام ومنتجاتٍ نفطيةٍ أخرى العام الماضي. المحظوظون الذين استلموا هذه العملية يحصلون على الإمدادات النفطية من إيران والعراق، وأيضاً من مجموعات المتمرّدين التي سبق وسيطرت على هذه الآبار. يقول بتر هارلينغ: "من وجهة نظرٍ اقتصادية، أعاد النزاع ترتيب الأوراق، مجبراً العائلات الكبيرة على الرحيل أو على إغلاق شركاتها والسماح بظهور جيلٍ جديدٍ من محتالي البزنس". من السماسرة في سوق القمح عائلةٌ لاذقانيةٌ تعمل لصالح ذو الهمة شاليش، قائد الحرس الرئاسيّ، ومشمولٌ بالعقوبات الغربية. ولكي يتجنب العقوبات الدولية، فإن أولئك الذين ينتفعون من الحرب يعملون في الخفاء. ويزعم أحد أفراد النخبة المالية الدمشقية أن لدى رامي مخلوف مجموعةً من القانونيين يعملون لصالحه، ويمضون وقتهم في خلق شركاتٍ تكون غطاءً لأعماله. بعض هذه الشركات التمويهية فضحها مخبرون من وزارة المالية الأمريكية والمفوضية الأوربية. لكن، حسب رجل أعمالٍ مطّلع، استطاع رامي أن يحمي معظم ثروته. وعن طريق والده الذي يتنقل بين دمشق وموسكو، لرامي الحق باستخدام منشآتٍ في روسيا التي يتم طبع العملة السورية فيها بعد أن توقفت النمسا عن فعل ذلك. وفي كانون الأول 2011 أعطت روسيا الإذن للبنك المركزيّ السوريّ بفتح حساباتٍ في البنوك الروسية. إمبراطورية رامي مخلوف لها أيضاً فروعٌ في رومانيا،

الصورة من موقع themarker.com

التي يشغل والد زوجة رامي، وليد عثمان، منصب سفير سوريا فيها. وتضمّ عصابة الطغمة السورية أيضاً ماهر الأسد وموظفيه محمد حمشو وسامر الدبس وخالد قدور. وسيُمنَح حمشو الإذن في القريب العاجل، من قبل وزارة السياحة، بتطوير مشروع جزيرةٍ اصطناعيةٍ في طرطوس. مقابل مساهمة الدولة، يعيد هؤلاء الصناعيون تحويل جزءٍ من أرباحهم للنظام. تقوم سريتل بدفع أجور الموظفين، وربما الشبيحة. وبحسب جهاد يازجي، تضع شركات الباصات مركباتها تحت تصرف الجيش. لكن لنبتعد عن الخطأ: بالنسبة إلى الأغلبية الساحقة من رجال الأعمال السوريين، يشكل النزاع كارثة. وقد قدّر خبراء الأمم المتحدة أن سوريا، حتى مع نموٍّ يبلغ 5% سنوياً، ستحتاج إلى ثلاثين عاماً قبل أن يعود إجمالي الناتج المحليّ فيها إلى مستواه في فترة ما قبل الحرب.

الشاعر المقاوم المحامي منير عباس

هناك شخصٌ، ناشطٌ أقصى النشاط في كتابة قصائد عموديةٍ محطّمةٍ تمجّد الأمة العربية والجيش السوريّ وبشار الأسد، يُدعى منير عباس. يقدم عباس نفسه، قبل كل خمسة أسطرٍ يكتبها، بالعبارة التالية: "الشاعر والروائيّ المحامي منير عباس رئيسُ تحرير مجلة البيرق المقاوم". ويعرّف نفسه في صفحته الشخصية على الفيسبوك بأنه يعمل "سفيراً للكلمة في بلاد المهجر"، بالرغم من إقامته الدائمة في مدينة حمص. يحاول عباس أن ينتشر بكل ما استطاع من وسائل، مستثمراً كافة التطبيقات التي تتيحها شبكة الإنترنت، ووفق ما تتيحه إمكانات التعلم لديه. فقد تجاوز الرجل الخمسين من العمر بسنواتٍ، ولا ينفع التصابي بعد أن ذهب الصبا. وعلى الشاعر الكهل أن يلقي قصائده العمودية بوقار، بربطة عنق ولباس رسميّ. وهذا ما يفعله عباس حين يظهر في قناته الخاصة على اليوتيوب، مقلداً طريقة الجواهري في الإلقاء من دون أن ينجح في ذلك. ولا ينجح أيضاً في تقليد الأدباء كبار السن، حين يزعمون حرصهم على المواهب الشابة وتشجيعها. فعباس، الذي منح نفسه الدكتوراه الفخرية من هيئةٍ وهميةٍ هي المجلس الأعلى للإعلام الفلسطيني، يفتتح بيان رؤية مجلته البيرق المقاوم بالقول: "لثقتنا بصوابيّة ما قالهُ الشاعر العربيّ الشّاب طارق العباس:

"فما سلبتهُ أثلامُ الخناجِرِ لن يعودَ سوى بأثلام الخناجِر". علماً أن الشاعر العربيّ الشاب هو ابن الشاعر المقاوم، ونَاشطٌ هو الآخر مثل أبيه!

لا يمكن أن يشعر المتفرج على عباس إلا بالشفقة، ولا يمكن أن يوصف هذا المقاوم إلا بالجنون...

قدّورة... مات

ليس لعبد القادر قدورة، الرئيس السابق لمجلس الشعب، من يبكيه. فقد مات من غير ضجيج، ودُفن بقليلٍ من الاهتمام، وبشكلياتٍ لن تَرفع من مقام الرجل الذي باع روحه، ومنذ سنين كثيرة، للشيطان، مقابل أن ينتفع، وبنوعي المنفعة المألوفة لأتباع الأسد، في المنصب والمال. وتصعب حتماً، على المتعاطفين مع الأموات، مهمة البحث في سيرة قدورة عن محاسن. ويصعب أيضاً، على هواة التنقيب في معطيات النشأة، أن يعثروا على عوامل خاصة في نشأة قدورة – رغم الوفاة المبكرة لوالدته – تفسّر كيف عاش الرجل كمنافقٍ نموذجيٍّ طوال حياته. فعائلته المهاجرة من ليبيا لم تكن عائلةً منبوذةً في محيطها بحيّ باب سريجة الدمشقيّ، ولم يكن المغاربة يعانون من أيّ شكلٍ من أشكال التمييز، بل أصبح الجيل الثاني منهم جزءاً عضوياً من نسيج مجتمع دمشق. وفي نقيصة مضافة – فوق النقائص الطبيعية لمسؤولي النظام الأسديّ – يذكر عارفو قدورة أنه لم ينفع أحداً أيّة فائدة إلا بمقابل، فهو مخلصٌ لحكمته الخاصة "خذ ما تستطيع ولا تعطي"، مما يجعل مسؤولين آخرين يبدون أمامه رجال خير.

رحل البعثيّ العتيق دون أن ينطق كلمة حق، ولو نفاقاً، لثورة ستنتصر. بعد أن وقف مع الباطل أكثر من نصف قرن، عاشه مجتهداً في خدمة الطغاة كعبد.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة
- لا تعبر المقالات المنشورة عن رأي المجلة بالضرورة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.
فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

دير الزور: أقطان من السنوات السابقة